في بلاد السحر والجمال

على قمم الألب

ترجمة احمد فتحى مرسى

يصف بعض كتاب الغرب سويسرا بأنها « مستراد الغرب وملعبه » يؤمها الغربيون رغبة فى الترويح والتطلق ، وحباً فى التجول والتسلق ، وميلاً إلى اجتلاء الحسن وترشف الجمال

فى الشمال حيث تنبسط السهول المخضرّة ، وتمتد الرياض الأريجة ، وقد أزّرتها الطبيعة بمطرفها الأخضر ، وطرزتها بكفها الصناع ، يلجأ ناشدو السكينة ، وعاشقو الجمال ، فيقضون فصل الربيع ، مسرحين الطرف فى جنبات المروج المنضرّة ، ممتعين النظر بسحر الطبيعة وروعة الكون

وفى الجنوب حيث تقوم جبال الألب سداً منيعاً بين السماء والأرض وقد جللت الثلوج رؤوسها بلونها الشفّ ، وبريقها الفرّار ، يقصد محبو الرياضة والمخاطرة ، فيتسلقون شعاف التلال ، ورؤوس الجبال ، معرضين حياتهم لداهم الخطر ، وفاجىء الهلاك

* * *

وسأقص عليك فى هذه السطور ، قصة ممتعة ، لبعض هؤلاء الذين دفعتهم نشوة المغامرة ، وحفزهم حب الاستطلاع إلى كشف قمم الألب ، والوصول إلى ذروتها ، على الرغم مما تخفى من حتوف ، ما وتكمن من مهالك :

كان الشتاء ذلك العام ، شديد الزمهرير ، قارس البرد ، وكانت الجبال ملفعة بشفوف من الجليد مؤزرة

ولم يقف فلويدور ليسمع تتمة الحديث بل اندفع راكضاً نحو مسكنه الحقير وهو يقول فى نفسه : أواه ، لقد نجحت فى تمثيلى ، وهذه الحبيبة تتزوج اليوم بشريف من طبقة أهلها . ويلاه من ظلم الأقدار !

وما آوى إلى غرفته حتى رأى على الخوان غلافاً باسمه ، فانتضى ختمه وقرأ ما يأتى :

« بالرغم من محاولتك اقتلاع حبك من قلبى لم يزل شخصك نصب عينى ، فلن أنظر إلى غيرك حتى يوارينى رمسى . ما فاتنى الجهد الذى بذلته لأرضاء والدى ، فقد كنت أقرأ فى قلبك حقيقة نفسك وأنت تسدل عليها ستار تمثيلك . ولهذا أقسمت ألا أسلم يدى الى سواك ، ولكنك ان تتسلم هذه اليد ، فكل شىء يفصلنى عنك حتى إرادتك . فهأنذى أنخرط فى سلك الرهبنة لأبرّ بقسم أقسمته أمام الله فى الحديقة بين ذراعيك وأقسمته أيضاً وأنت تخنق زفراتك ، وتقضى على كرامة نفسك

« اليوم أتشح السواد ، وأسدل على وجهى النقاب . وهذا الكتاب هو آخر فكر أوجهه إلى هذه الحياة ، وحتى تطلع عليه تكون حبيبتك مرغريت دى بارسلان قد ماتت عن هذا العالم لتحيا بالله ... »

الراهبة إيثاس

(ف . ف .)

يبرود من الثلج ، عند ما خرجت الجماعة ، وكانت مكونة من خمسة رجال — كاشفين وثلاثة أدلاء — إذ لابد للمتسلق من دليل يهديه بين مسالك الصخور لأن من الهلاك المحقق أن يخبط بين تلك الجبال خبط عشواء دون أن يعرف شعابها ويخبر دروبها

وكان كل منهم مزوداً بفأس صغيرة لتحطيم ما يعترض سبيلهم من الثلوج الغزيرة والصخور

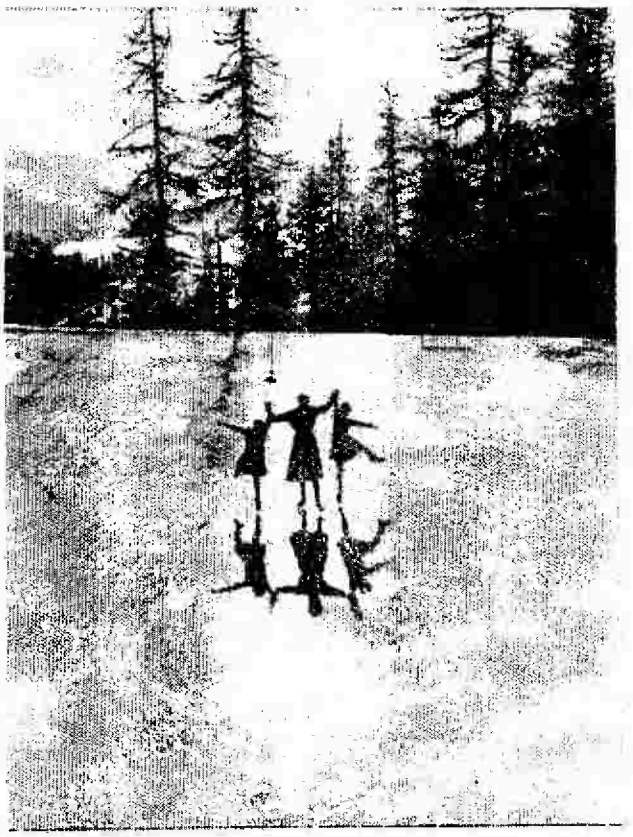

غروب الشمس على ثلوج سان موريتز

الناتئة التي قد تعوقهم عن مواصلة التسلق . وكان الأدلاء يحملون على ظهورهم حقائب من الصوف « rücksack » ملأى بما خف حمله من طعام وشراب ، هذا عدا حبل متين النسج ، يشدون به بعضهم الى بعض في مواقع الأخطار

أخذ السفر يتحرك وئيد الخطى ، ثابت القدم فما أوغل في المسالك حتى اعترضت سبيله ثلاجة هائلة تنحدر من ذروة الجبل إلى قرارة السهل — ولكن ما هي تلك الثلاجة ... ؟ ... الثلاجة هي مجرى من الثلوج الدافقة المتحدرة من قمم الجبال الى الهُوَى والوهاد ، وتنشأ عادة من أن الثلوج لا تنهض بما يثقل متنها من الثلوج الجديدة المتراكمة ، فيدركها الهيار وتهبط الى السهل جياشة يدفع بعضها بعضاً ...

وسطح الثلاجة مغر خداع ، فهي تبدو هادئة وادعة ، حتى إذا وطئها الانسان دون درب أو خبرة سقط في هوة من تلك الهوى السحيقة التي يخفيها سطح الثلاجة الغرار

وقد يتساءل البعض ... « ولكن لماذا يقدم الانسان على اختراق الثلاجة ، ويرمي بنفسه في التهلكة » ... والجواب على ذلك « أن عواصف الثلج تنشر عادة على صفحة الثلاجة طبقة شفة رقيقة من الجليد ، فتبدو لمن يراها مستوية ، منبسطة ممهدة ، حتى إذا وطئتها القدم لم تنهض بها ، وهوى الانسان الى قرارة الهوة

والثلاجات من تلك المناظر البهيجة التي تقع عليها نواظر رائدي الألب ، فهي في بريقها الرفاف ، ولونها الأزرق الصافي من أروع ما تقع عليه العيون ... فاذا أشرقت الشمس ، ونفضت عليها رميضاً من شعاعها اللاطف ، تجمعت لديها أبهج الألوان ، وتلألأت عليها أروع المشاهد

وعلى حفافي الثلاجة يرى الناظر ، إذا سرّح الطرف وتقصى النظر « مناضد الثلج » Glacier tables قد انتثرت في جنبات المكان ... وهي قطع من الصخور الرقيقة التناثرة التي تجمعت تحتها الثلوج فرفعتها عن الأرض ، وكانت لها بمثابة قوائم ترتكز عليها كما ترتكز المنضدة ...

وتعود الآن الى جماعتنا وقد اعترضت الثلاجة سبيلهم ، فطفقوا يدورون حول ضفافها فى حيطة وحذر ، حتى اجتازوها بسلام ، فاذا هم فى ضيق منبسط ، وإذا بالدليل يشير الى شىء أسود قائم على مدى البصر ، فرفع الجميع نواظرهم ليثبتوا به معرفته ، فاذا به كوخ صغير قائم على سفح الجبل ... ولكن أى كوخ هذا ؟ ... أيقيم هنا إنسان ؟ ... كلا ، فهذا الكوخ ليس فى حيازة أحد ، بل أقامته الحكومة ليتحرز به المتسلقون ، من عوادى البرد ، وظلمة الليل ، ووعثاء السفر

وكانت الشمس الغاربة تطوى مطارفها الزاهية عن الكون ، عندما بلغ أصحابنا الكوخ ، وقد أضناهم التعب ، ونال منهم النصب ، وبلغ بهم الجوع مبلغا جعلهم يلتهمون الطعام التهاما ... ثم أخذ الليل يلف الكون فى مسوحه السود فاضطجع كل منهم فى ركن من أركان الكوخ وراحوا فى سبات عميق

* * *

وتيقظ الجميع بعد الواحدة بقليل على صوت الدليل ، وكانت السماء صافية الأديم مسفرة الوجه ، تسطع فى جنباتها النجوم الرائقة ، وتحفق فى حواشيها الأضواء الرجافة ، التى تنعكس على الجليد فيبدو كالزجاج الرائق المذوّب ، وكانت نسمات الألب العاطرة الهفافة تملأ الصدور وتنفح الجسوم عندما ابتعدوا عن الكوخ ، وراحوا يتابعون التسلق بين الحيطة والحذر ، فقد بدأت أخطار الطريق تبدو جلية ، فتكشفت الثلوج ، وبدت الهوى السحيقة وعاد الجليد ينهار تحت أقدامهم ؛ فابتدروا الحبل وشدوا به بعضهم الى بعض ، وساروا يتبعون الدليل فى رهبة وتؤدة

وأفصح الفجر ، فجلى لهم الطريق ، وبدت أمامهم قمة ثلجية دقيقة الذروة لابد من عبرها ، تقع فى جانبها الآخر هوة سحيقة ، وكانت القمة عالية ضيقة لا يتسع صدرها لأكثر من اثنين ، إذا زلت قدم ، فالله أعلم بالمصير

وهنا يبدو ذكاء الدليل وعرانه ، فهو دائما ثابت القدم رابط الجأش فى مواقع الأخطار . لأنه

الغابات تغطى سفوح الألب السفلى

من الهلاك للانسان أن يجفل أو يرجف ، أو يسير مشترك الخاطر ، موزع اللب ...

وتقدم الدليل وفأسه فى يمناه ، يشق بها طريقاً إلى أعلى المرتقى ، والآخرون فى أثره يزحفون وقد عقل الخوف ألسنتهم وغشى الرعب قلوبهم ، فأخذوا يتشبثون بالحبل كلما علقت أبصارهم قرارة الهوة ... وأخيراً بلغوا الجانب الآخر بعد لأى

وجهد ، فاذا بهم فى منبسط من الثلوج يضم ثلاجة جياشة هائلة ، تقوم على ضفافها مرتفعات من الجليد تنهار إلى الثلاجة مرتفعاً بعد آخر فهم الآن بين هلاكين . فالثلاجة عن يمينهم مائجة مزبدة ، والثلوج عن يسارهم منهارة متساقطة ، فلا سبيل إلى النجاة إلا بعد الثلاجة ولكن أنى لهم ذلك ؟

تقدموا قليلا فاذا هم أمام هوة لا يدرك البصر مداها ، عليها جسر رقيق ضيق من الجليد ، فأسرع

من مناظر الألب الغربية

الدليل يتبعه أحد الرجال ، وكانت الفأس فى يده يعهد بها الجسر ، ويرسم بها مواقع الخطى ، وما إن بلغ منتصف الجسر حتى بدرت منه صيحة رعب عالية ، فالتفتوا جميعاً فاذا الجسر ينهار تحت قدميه ويتساقط إلى قرارة الهوة السحيقة

ولم يكن على الجسر فى تلك اللحظة إلا الدليل وزميله ، أما البـاقون فقد ارتدوا إلى حافة الهوة ممسكين بطرف الحبل

ومرت لحظة رهيبة اختفى الجسر بعدها عن النواظر ، يحمل الرجلين فى طواياه ولم يبق إلا الحبل يضطرب فى أيدى الآخرين اضطراب الأرشية فى البئر البعيدة الغور . ترى أينقطع الحبل وينقضى الأمر فيضم الألب ضحيتين جديدتين الى سجل ضحاياه؟ ويمضى الآخرون دون هدى أو غاية ، حتى ليقتلهم الجوع ويصرعهم البرد

وفجأة ثقـل عليهم الحبـل فأدركوا أن زميليهم ما زالا معلقين بطرفه الآخر ، فانجـلى اليأس عن قلوبهم ، ودب فيها الأمل ، فأخذوا يجذبون الحبل فى هدأة وصمت ..... وبعد لحظات ظهرت رأس أحـد الرجلين وهو يحطم بفأسه ما يعوق الحبل من الجليد . وما بلغ حافة الهوة حتى انبرى يعين زميلاه على اخراج الدليل الذى ظهر بعد لحظة وعلى ثغره ابتسامة هادئة ، وهو يتمتم بكلمات الشكر

وجلسوا جميعا التماساً للراحة بعد هذا الجهد البالغ ، ثم قاموا يبحثون عن جسر يعبرون عليه الهوة ؛ وأخيراً عثروا بعد جهد جهيد على جسر أشد تماسكا ، وأثبت بناء من الأول ، فتقـدم الدليـل يختبره فى حذر ، حتى إذا تثبت منه تبعه الجميع الى الضفة الأخرى من الهوة

* * *

وكان فى الجانب الآخر مرتفع صخرى ينحدر إلى حافة الثلاجة ، فكان لا بد من ارتقائه ، فصمد الدليل وهم فى أثره ، إلى أن توقف فجأة متقصيا النظر الى الأفق البعيد وقد عرى وجهه عبوس وجوههم فتلفت الجميع إلى حيث ينظر ، فاذا بهم يرون على مدى البصر ، ضبابا أبيض كالدخان

يتقدم نحوهم فى سرعة عجيبة ... فقال الدليل :

— إنها عاصفة ثلجية تجتاح الجبال ... فسأل أحد الرجال :

— وهل تلبث طويلاً

— من يعلم ؟

وأرسل الدليل بصره يمينا وشمالاً ليتثبت من موقعهم ووجهة سيرهم قبل أن تغشاهم العاصفة وتضرب عليهم حجابها الكثيف فتحجب عنهم الطريق ..... وبعد لحظات كانوا يدرجون فى جوف العاصفة التى أحاطتهم جميعا كتلا من الثلج تتحرك ، وخلعت عليهم أبراداً من الجليد ، لفتهم من قمة الرأس إلى اخمص القدمين

وقد دامت العاصفة برهة غير قصيرة ، هدأت بعدها ثورة الريح ، وتقشع ضباب الثلوج ، وأشرقت أشعة الشمس ، فأخذوا ينفضون عن جسومهم حلل الثلوج ، ويمسحون عن جبينهم ماءها البارد

وكانوا قد اجتازوا المرتفع ونزلوا فى واد منبسط يلوح فى نهايته ، حائط أملس من الثلج ، لا تعلق به كف ، ولا تتماسك عليه قدم ، يبلغ ارتفاعه زهاء المائة متر

فوقفوا أمامه مشدوهين ، ومضت برهة قبل أن يتبس أحدهم ببنت شفة ، كأنه يدور بخلدهم ذلك السؤال « كيف لنا أن نتعلق بذلك الحائط الأملس ؟ »

بعد برهة من الحيرة والتساؤل ، تقدم الدليل فشد أوساطهم إلى الحبل ، وأخرج فأسه ، وسار أمامهم إلى الحائط فأخذ يدرجه بالفأس ، ويحفر فيه مواقع الأقدام ، ثم أخذ يصعد رويدا رويدا ، وهم فى أثره ، وكل بيده الفأس يشق بها الطريق

وكان الجميع يصعدون فى ريث وحذر ، فان زلة قدم واحدة تؤدى بهم جميعاً إلى الهلاك . وأخيراً بعد لأى وعناء ، بلغوا نهاية الحائط فجلسوا يتناولون طعامهم ... وامتنع احد الرجال عن الطعام ، لأنه كان يحس بدوار شديد ، فقد ثقل عليه رأسه وامتقع لونه ، وآلمته عيناه ، وتتابعت زفراته ، وذلك لخلخلة الهواء فى الطبقات العليا من الجو ... ولكنه على الرغم من ذلك لم يفكر قط فى التأخر او العودة

وبعد الطعام بقليل قاموا يصلون السير ، ويتابعون التسلق ، فأنه لم يبق أمامهم إلا القليل للوصول إلى قمم الآلب ؛ فساروا يحثون الخطى بعزم وجد ، فمروا بعض القمم ، واجتازوا بضع مرتفعات متقاربة

وكانت الشمس قد ارتفعت ، والنهار قد متع ، فطرق سمعهم صوت متزن الجرس ، متسق النبرات ، يغنى « أغنية النصر » المعروفة ، فالتفتوا جميعاً ، فاذا بالدليل قد بلغ طلائع القمم !

(عن الانجليزية) أحمد فتحى مرسى

قصص اجتماعية

مترجمة بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

مجموعة من القصص الرفيع الشائق لثمانية من أعلام الأدب الفرنسى هم : بورجيه . كوبيه . أناتول فرانس . موباسان . تيريه . مارسل بريفو . دى بانفيل . جان لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق . فى ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب

ثمنه ١٠ قروش ويباع مؤقتاً بـ ٦ قروش بخصم ٤٠ ٪

عدا البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه

ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب